

## الفصل الثالث

\* في انتصاره في النفوس وإيثاره.

### الآيات

١ - ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾

(المائدة: ٨٣)

٢ - ﴿ فَوْقَ الْحَقِّ وَبَطْلًا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَاجِدِينَ ﴾

(الاعراف: ١١٨ - ١٢٠)

٣ - ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾

(الاعراف: ١٥٩)

٤ - ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾

(الاعراف: ١٨١)

٥ - ﴿ أَلَمْ نَحْصِصْ الْحَقَّ أَنْزَرُوهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

(يوسف: ٥١)

٦ - ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾

فِيؤْمِنُوا بِهِ، فَتُخِيتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ  
ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿

(الحج : ٥٤)

۷ - ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ءَ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ  
مُسْلِمِينَ ﴿

(القصص : ٥٣)

۸ - ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ  
الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿

(سبأ : ٦)

۹ - ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا  
مُسْفِهُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يِمَارُونَ  
فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿

(الشورى : ١٨)

۱۰ - ﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ  
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿

(الاحقاف : ٣٠)

۱۱ - ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيْنَا مِنْ مُحَمَّدٍ وَهُوَ  
الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ  
كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ  
يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿

(محمد : ٢، ٣)

١٢ - ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

(سورة العصر)

إننا نرى على مر التاريخ من يؤثر الحق على نفسه فيقتل أو يصلب أو ينشر بمنشار يوضع في مفرق رأسه فلا يزيد ما يلاقيه في سبيل الحق إلا استمساكا به وثباتا عليه .

وتلك دلالة انتصار الحق في النفوس وإثارة على ما سواه . ترى ذلك في الأنبياء والرسل وأنصارهم ومن اتبعوهم بأحسان تراهم يواجهون بالحق الذي يؤمنون به باطل عصرهم وزمنهم ويقابلون من الإغراء والتهديد ما يقابلون فلا يميلون عن الحق ولا يهتدون الباطل بل يستمسكون بالحق ويموتون عليه - وهم على معرفة بحقيقته وحسن عاقبته - وترى الحق عزيزا في نفوسهم لا يستخف ولا يستدرج ولا يهين ولا يستكين .

ولا ترى شيئا ينتصر في النفس انتصار الحق عندما تخالط بشاشته القلوب ويسطع نوره فيها . ترى كل شيء من أمر الإنسان خاضعا له راضيا به وترى سكينه النفس معه وليتها عند حديثه وتبصرته . ﴿ ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ﴾ . ﴿ ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴾ .

لقد اقتضت سنة الله ألا يدع المؤمنين بالحق دون امتحان وابتلاء وألا يتركهم في دنياهم دون فتنه وبلاء :

﴿ الم ﴿١﴾ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتَّكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَذِبِينَ ﴿٣﴾

(العنكبوت : ١ ، ٢)

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَخْبَارَكُمْ ﴿١﴾

(محمد : ٣١)

وانتصار الحق في النفوس قد يواجه معارك ضارية في دنيا الناس يجاهد فيها المؤمنون بأنفسهم وأموالهم ويكابدون من سفهاء عصرهم ومن المبغضين لحقهم ما يكابدون ويفتنون عن الحق بشتى الوسائل وصنوف البلاء فيقتلون ويسجنون فينتصر الحق وهم يقتلون ويغلب حقهم وهم في نظر الناس يُغلبون . وقد يغلب المغلوب ساعة يُغلب . وينتصر المقتول ساعة يقتل . ويرى نصره من بعده نصراً للحق الذي آمن به والحقيقة التي آثرها وقتل في سبيلها .

وقد يبقى حديث أولئك من بعد انتصارا للحق في نفوس لم ترهم وأجيال لم تشهد بلاءهم وقتنتهم .

ومن قرأ قصة أصحاب الاخدود رأى كيف ينتصر الحق في النفوس فتؤثره وترضى بالموت دونه . ورأى ما كان من بعدهم من إيمان بالحق الذي ظن الغافلون أنه قد مات بموتهم وذهب بذهابهم . فلا الحق ذهب ولا من قتل في سبيله قد مات . بل قتل من عاداه وذهب ما سواه .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ وَفُضِّلِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(آل عمران: ١٦٩ - ١٧١)

وفي قصة أصحاب الاخدود - عبر وعظات . فقد روى مسلم عن صهيب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر . فلما كبر قال للملك : إني قد كبرت فابعث إلى غلاما أعلمه السحر فبعث إليه غلاما يعلمه فكان في طريقه إذا سلك راهب ، فقعد إليه ، وسمع كلامه فأعجبه ، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه . فاذا أتى الساحر ضربه ، فشكى ذلك إلى الراهب

فقال: اذا خشيت الساحر فقل حبسنى أهلى . واذا خشيت أهلك فقل حبسنى الساحر . فبينما هو كذلك اذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجرا فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس فرماها فقتلها ، ومضى الناس . فأتى الراهب فأخبره ، فقال له الراهب أى بنى ، أنت اليوم أفضل منى ، قد بلغ من أمرك ما أرى . وانك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل على ، وكان الغلام يرى الأكمة<sup>(١)</sup> والابرص ويداوى الناس من سائر الأدواء . فسمع جليس للملك - وكان قد عمي - فأتاه بهدايا كثيرة فقال : ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتنى . قال : إنى لا أشفى أحدا . إنما يشفى الله ، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك . فآمن بالله فشفاه . فأتى الملك ، فجلس إليه كما كان يجلس . فقال له الملك : من رد عليك بصرك ؟ قال : ربي . قال : ولك رب غيرى ؟ قال : ربي وربك الله . فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام ، فجىء بالغلام ، فقال له الملك : أى بنى ! قد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمة والابرص ، وتفعل ما تفعل ؟ فقال : انى لا أشفى أحدا . إنما يشفى الله عز وجل . فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب . فجىء بالراهب ، فقيل له : ارجع عن دينك فأبى . فدعا بالمنشار ، فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ، ثم جىء بجليس الملك ، فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جىء بالغلام ، فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبى ، فدفعه إلى نفر من أصحابه . فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته ، فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه . فذهبوا به ، فصعدوا به الجبل ، فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت . فرجف بهم الجبل فسقطوا . وجاء يمشى إلى الملك . فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم الله . فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به فاحلوه فى قرقور<sup>(٢)</sup> فتوسطوا به البحر . فإن رجع عن دينه وإلا فاقدفوه ، فذهبوا به فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت . فانكفأت بهم السفينة ، فغرقوا . وجاء يمشى إلى الملك . فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ فقال كفانيهم الله . فقال للملك : إنك لست بقاتلى ، حتى

(١) هو الذى ولد أعمى .

(٢) هو السفينة الصغيرة .

تفعل ما أمرك به . قال : وما هو ؟ قال : تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ، ثم قل : بسم الله رب الغلام . ثم ارمني ، فانك إذا فعلت ذلك قتلتني ، فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ، ثم أخذ سهما من كنانته ، ثم وضع السهم في كبد القوس ، ثم قال : بسم الله رب الغلام ثم رماه . فوقع السهم في صدغيه ، فوضع يده في صدغه في موضع السهم فبات ، فقال الناس : آمنة برب الغلام . آمنة برب الغلام . آمنة برب الغلام . فأتى الملك فقيل له : أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرُك قد آمن الناس . فأمر بالاخذود بأفواه السكك فخذت وأضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاحموه فيها . أو قيل له اقتحم . ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها . فتقاعست أن تقع فيها . فقال لها الغلام : يأمة اصبري فإنك على الحق .

أرأيت كيف ينتصر الحق في النفوس وكيف يؤثره أهله ؟  
 أرأيت ما فعل الغلام وكيف جاد بنفسه ليحق الحق الذي آمن به ؟  
 أرأيت ما كان بعد قتله من إيمان الناس برب هذا الغلام وجهرهم بالحق الذي قتل في سبيله ؟  
 أرأيت كيف عز الحق في نفس الراهب وجليس الملك فلم يقبلوا أن يقولوا غيره أو يركنوا إلى شيء سواه . وهما يكرهان على القول والرجوع عن الحق ؟  
 ثم أرأيت الأم ماذا سمعت من صبي لها وكيف أقدمت وصبرت حين علمت أنها على الحق ؟

قد يظن أولئك الذين فُتِنوا بدنياهم . أن تلك هي خاتمة المطاف لقصة اولئك ومن كان على درهم . ويغيب عنهم أن انتصار الحق في نفوس هؤلاء يعني فوزهم به . وخذلان من نقموا منهم أو أساءوا إليهم .

والقرآن الكريم يسجل ذلك في آيات تتلى على سمع الزمان وفيها خاتمة المطاف وانتصار أهل الحق وفوزهم أيما فوز وانتصار .

﴿ قِيلَ اصْحَبِ الْأَخْدُودِ ۖ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۖ إِذْ هُرِّعَتْ عَلَيْهَا

قَعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا  
 مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
 فَنَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ  
 عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ  
 جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ  
 رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِيٌّ وَبَعِيدٌ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾  
 ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِمَآ يُرِيدُ ﴿١٦﴾

(البروج: ٤-١٦)

يقول صاحب الظلال - وهو ممن سار على الدرب - إن الذي حدث في الأرض وفي  
 الحياة الدنيا ليس خاتمة الحادث وليس نهاية المطاف . فالبقية آتية هناك . والجزء الذي  
 يضع الأمر في نصابه . ويفصل فيما كان بين المؤمنين والطاغين آت . وهو مقرر مؤكد .  
 وواقع كما يقول عنه الله :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَنَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ . ومضوا في ضلالهم سادرين . لم يندموا على  
 ما فعلوا . . . ﴿ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ﴾ . ﴿ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ . وينص  
 على « الحريق » وهو مفهوم من عذاب جهنم . ولكنه ينطق به وينص عليه ليكون مقابلا  
 للحريق في الاخدود . وبنفس اللفظ الذي يدل على الحدث . ولكن أين حريق من  
 حريق ؟ في شدته أو في مدته ! . وحريق الدنيا بنار يوقدها الخلق . وحريق الآخرة بنار  
 يوقدها الخالق . وحريق الدنيا لحظات وتنتهي . وحريق الآخرة آباد لا يعلمها الا الله .  
 ومع حريق الدنيا رضى الله عن المؤمنين . وانتصار لذلك المعنى الانساني الكريم . ومع  
 حريق الآخرة غضب الله والارتكاس الهابط الذميم .

ويتمثل رضا الله وانعامه على الذين آمنوا وعملوا الصالحات في الجنة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ

آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار . وهذه هي النجاة الحقيقية : ﴿ ذلك الفوز الكبير ﴾ . والفوز: النجاة والفلاح . والنجاة من عذاب الآخرة فوز . فكيف بالجنات تجري من تحتها الأنهار .

بهذه الخاتمة يستقر الامر في نصابه . وهي الخاتمة الحقيقية للموقف فلم يكن ما وقع منه في الأرض إلا طرفا من أطرافه . لا يتم به تمامه . وهذه هي الحقيقة التي يهدف إليها هذا التعقيب على الحادث لتستقر في قلوب القلة المؤمنة في مكة . وفي قلوب كل فئة مؤمنة تتعرض للفتنة على مدار القرون<sup>(١)</sup> هـ .

وفي هذا الدرب الطويل ترى شواهد لانتصار الحق في النفوس وإيثاره والرضا بالموت دون ما يجعلك توقن أن الحق هو أعز ما يُحْرَصُ عليه وأعظم ما توهب الحياة به ولا توهب بغيره . وتهون في سبيله المصاعب والشدائد ولا تهون في شيء سواه .

واقراً ان شئت حديث سلمان الفارسي الذي انتقل من بلد إلى بلد ولقى ما لقي وبيع كما تباع السلعة طلبا للحق ورغبة في الوصول إلى من بعث بالحق صلى الله عليه وسلم ليسمع منه ويؤمن به .

واقراً ما جرى لحبيب بن عدى وما دار معه لتعرف كيف يعز الحق وينتصر في النفوس فلا تنشُد حياتها إلا به ولا ترى فوزها إلا بالموت عليه .

لقد خرج به كفار مكة إلى التنعيم ليقتلوه وقالوا له - وقد أوثقوه رباطا «ارجع عن الإسلام ونخلي سبيلك فقال : لا اله الا الله . والله ما أحب أنى رجعت عن الإسلام وأن لى ما في الأرض جميعا . قالوا : فتحب أن محمدا في مكانك وأنت جالس في بيتك ؟ . فقال : والله ما أحب أن يشاك محمد شوكة وأنى جالس في بيتى . فجعلوا يقولون : يا حبيب ارجع !! قال : لا أرجع أبدا قالوا : أما والللات والعزى لئن لم تفعل لنقتلنك . قال : إن قتلى في الله لَقَلِيلٌ<sup>(٢)</sup> . وقتل وهو يوحد الله ويشهد أن محمدا رسول الله .

(١) راجع في ظلال القرآن : سورة البروج .

(٢) امتاع الاسماع للمقرئى : تحقيق : محمود محمد شاكر .

وكم سمعنا من قتيل في سبيل الحق يهتف ويقول فزت ورب الكعبة ويعلن سعادته بلقاء ربه . وفي ذلك دليل على تأثر النفوس بالحق وتأثيره فيها وانتصاره على كل ما عداه .

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَكْثَرُ كَذِبًا ﴾  
الشَّهِيدِينَ ﴿

(المائدة: ٨٣، ٨٤)

هكذا يفعل الحق في قول الانسان وعمله، تأثير بالغ في فيض العين، ولين القلب، وصحوة النفس، وتعلقها بما هو أسمى وأبقى . هكذا يفعل الحق عند سماع آياته . وهكذا تكون النفس عند مجيء بيناته :

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي نَقَّشَ فِيهِ مِنْهُ جُلُودٌ لِلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾

(الزمر: ٢٣)

وتدبر أمر السحرة مع فرعون وقد جاءوا إليه لغرض فحوهم الحق لغرض آخر:

﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لِمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالُوا فَلَمَّا الْقَوَا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَبُوهُمْ وَجَاءُ وَبِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿

(الاعراف: ١١٣-١١٦)

ذاك ما فعلوه وما جاءوا له . فماذا كان حالهم بعد أن ظهر الحق وجاءت آياته .

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَّعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فغلبوا هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا أَمْ آتَانَا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾

(الاعراف: ١١٧-١٢٢)

هكذا فعل الحق بهم وهكذا كان انتصاره فيهم : ﴿ وألقى السحرة ساجدين . قالوا آمنا برب العالمين . رب موسى وهارون ﴾ . وما صرفهم عن الحق - وقد عرفوه - تهديد فرعون أو وعيده :

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ءِإِنْ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمْوهٗ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا ءَأَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلْفٍ ثُمَّ لَأَضِلَّ لَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا ءَأَن تَأْمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَجَاءٍ تَنَارَبْنَا أَفْرَعًا عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّانَا مُسْلِمِينَ ﴾

(الاعراف: ١٢٣-١٢٦)

وعلى مر الزمان ترى رجالا يهدون بالحق وبه يعدلون لا يصرفهم عنه صارف :

﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٍ يَّهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾

(الاعراف: ١٥٩)

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَّهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (الاعراف: ١٨١)

وانتصار الحق في النفوس يأتي في صور متعددة . نراه في صبر مجاهد . وفي توبة تائب .  
وفي سخاء كريم . وعفة فقير . نراه في خضوع النفس لدوافعه وانقيادها لأوامره . ووجع  
القلب لحديثه ويقينها بوعدته ووعيده .

تري انتصار الحق في نفس امرأة العزيز فتعترف بعد إنكار . وتعود بعد شرود . انتصر  
الحق في نفسها فلم تستطع إلا أن تخضع لسلطانها وأن تشهد بطهر يوسف وعفته وأنه لم  
يراودها وإنما هي التي راودته عن نفسه ﴿الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن  
الصادقين﴾ . انتصر الحق في نفسها فنطقت به وآثرته على ما سواه طلباً لمغفرة ربها  
ورحمته . وهل تطلب الرحمة إلا به . وتنال إلا بإيثاره . ان رحمة الله حق كتبها على نفسه .  
والحق لا يطلب الا بالحق . وما عند الله لا يطلب إلا بطاعته .

والاعتراف بالحق هو مفتاح الطلب . والانابة إلى الله هي باب الدخول إلى رحمة الله  
ومغفرته . ومن أبى الحق وأصر على إنكاره . فقد أبى الدخول إلى الرحمة وأعرض عن  
المغفرة : «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن أبى يا رسول الله قال من أطاعني  
دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى» .

وطاعته صلى الله عليه وسلم طاعة للحق الذي جاء به . ومعصيته معصية للحق .

وانتصار الحق في النفس يحقق لها فوزاً وفلاحاً . وتلك ميزة لا تكون إلا للحق ومنفعة  
لا تقوم إلا به . تخضع له النفس فتعلو . وتستجيب لأمره فتسمو ، وتعتمص به فتبرأ من  
العيوب وتسلم من النقائص وتلجأ إلى غيره فلا تأمن إلا باللجوء إليه .

فأنعم به من منتصر لا يفاخر بنصره . ومن كريم لا يغلق بابه على قاصده . أو مقبل  
عليه مهما أساء إليه . ومن محسن يبر بمن كان قد حاربه أو صد عنه ويفتح له المجال  
ليصلح ويحسن بعد أن أفسد وأساء .

انه الحق . والحق خير كله . وبر كله . وصدق كله . وعدل كله . يذنب المذنب فيتوب  
فلا يعيره بذنبه . ويعرض المعرض فيؤوب فيبر به ويكرمه . تتحول به النفس من ضلال  
إلى هدى . ومن فجور إلى تقى . ومن ظلام إلى نور . ومن خوف إلى أنس . ومن خسران

إلى فوز. ومن جهل إلى علم. ومن سفاهة إلى حلم. ومن ابتغاء غير الله إلى عبادة الله. ومن الخلود إلى الأرض إلى رجاء في السماء. ومن الإساءة إلى الخلق إلى الإحسان إليهم والبر بهم. ومن الظلم للنفس وللغير إلى العدل مع النفس والغير. ومن نصره القريب مهما ظلم إلى الأخذ على يده إذا ظلم.

ومن وأد البنات إلى تكريمهن وحسن تربيتهن. ومن الخصومة والتباغض إلى الاخوة والتراحم. ومن التناكر والتقاطع إلى التعاون والتعارف.

ذاك هو الحق وتلك بعض نتائج انتصاره في النفس وإيثاره . :

﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ  
فِيَوْمِنَا يَهُ فَتُخَبِّتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا  
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

(الحج : ٥٤)

إيمان بالحق نشأ عن علم ومعرفة . وجلت له القلوب . وظفرت بهداية الله واستقامت على صراط مستقيم .

ومن آمن بالحق أبصر نتائجه وأدرك عواقبه . ومن لم يؤمن أيقظته ثلاثه وصبحته قوارعه .

والمؤمن يتعهد قلبه بذكر الله وما نزل من الحق كما تتعهد جنة بوابل أو ظل فتوتى اكلها وثمارها كل حين بإذن ربها .

وإحياء النفوس بالحق لا يتوقف . وعطاؤه لا ينقطع بل يتجدد تجدد الماء في السماء فيصيب الله به من يشاء ويصرفه عن من يشاء وهو هو من قبل ومن بعد . لا تنبت الأرض بغيره ولا تحيا بسواه .

والماء هو الماء في ماض وحاضر والحق هو الحق في سابق ولاحق . من آمن به اليوم

وجد نفسه مع السابقين من المؤمنين يحس بإحساسهم ويشعر بشعورهم ولا يجد فارق زمن بينه وبينهم بل يقول في ثقة ذلك هو الحق الذي آمن به السابقون وجاء به النبيون كما قال ورقة بن نوفل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه الوحي هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى . وكما قال من آمن من أهل الكتاب حين تلى عليهم ما أنزل الله :

﴿ قَالُوا أَمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾

(القصص: ٥٣)

الحق له خصائصه وله آثاره ونتائجه وله نبتة وثماره التي لا تسند إلى غيره ولا تكون لسواه .

ومن رأى النخل باسقات لها طلع نضيد لم يخف عليه أن في التربة ماء وهو يعلم أن نبات كل شيء ينسب إليه وأن الحياة لا تكون بدونه، وأهل العلم والإيمان في كل زمان ومكان يعرفون ما للحق من حياة ولا تحفى عليهم آثاره وثماره :

﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾

(سبا: ٦)

والحق في نفوس هؤلاء ينتصر على ما سواه ويرون به ما هم مقبلون عليه وصائرون إليه يرون أحرارهم في دنياهم ويعملون لها ويشفقون منها . ينتصر الحق فيرفع أصحابه عن الخلود إلى الأرض ويطوعهم لعمل الخير ويجعل نفوسهم تنظر ما قدمت لغد . ولا يرون غير الحق أصلا للحياة وسببا للبقاء ولا يبارون في وقائع الحق وآياته ولا يجادلون في الساعة التي تكون بالحق للفصل بين من اتبع الباطل ومن اتبع الحق .

﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ  
 أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٧﴾

(الشورى: ١٧، ١٨)

ان الذين آمنوا بالحق ينتصر الحق في نفوسهم فلا تلهيهم العاجلة عن الآخرة ولا تصرفهم الرغائب عن العواقب. بل يمشون في الأرض يتغنون من فضل خالقهم وهم يحذرون الآخرة ويرجون رحمة ربهم ﴿والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق﴾. ذلك ما يحققه إيمانهم بالحق يخلصهم من الركون لدنياهم ولا يجعل لها سلطانا عليهم بل تكون بسبب الحق الذي آمنوا به خادمة لغايتهم خاضعة لمقاصدهم يريدون بها الآخرة فيصلحون ولا يفسدون ولا يريدونها في ذاتها فيفسدون ولا يصلحون. واشفاقهم من الساعة نصر للحق وإعلاء للصدق وإشاعة للبر وإمساك عن الشر وتلك وربي دعائم السلم لمن طلب السلم وأسباب الأمن لمن ابتغى الأمن.

ومن انتصار الحق وإثاره ما كان من حديث الجن مع قومهم. ومن تواصى أهل الايمان بالحق وبالصبر فيما بينهم. ومن إصرار هؤلاء وأولئك على اتباع الحق وثباتهم عليه أمام كيد الأعداء وتكاثر الإغراء ومفاسد الأهواء. ولم يكن انتصار الحق في النفوس انتصار مظهر يكون ثم يذهب بل هو انتصار حقيقة تبقى وخصائص تلازم الإنسان وتحدد مساره ويجدها في ساعة موت وحساب وجزاء ويتحرك بمقتضاها حركة حياة يدعو إليها في ثبات ويحذر من مخالفتها في ثقة وبحيا بها ولها في طمأنينة ويقين. وهذا ما كان من الجن حين استمعوا القرآن وبلغوا ما سمعوا:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ

﴿ يَقَوْمًا أَحِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَعَٰمِنُوٓا بِهِۦٓ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴾ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَاءُ ۗ أُو۟لَٰئِكَ فِي ضَلٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾

(الاحقاف : ٣٩-٣٢)

ليس انتصار الحق في النفوس وإيثاره في معركة طارئة من معارك الحياة فحسب بل هو انتصار يقود إلى ملازمة اتباع . اتباع للحق في كل شأن وطاعة له في كل أمر:

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ وَعَٰمِنُوٓا۟ إِنَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَرْنَا عَنْهُمْ سِئََاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ ﴿٣٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَتَّبَعُوا ٱلْبَاطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَّبَعُوا ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱمثَلَهُمْ ﴿٣٣﴾

(محمد : ٢ ، ٣)

وليست هذه الملازمة في الاتباع ترتبط بمعنى يقف عند حدود الحياة الدنيا ولا يزيد . بل هو اتباع يتجاوز حدود الحياة إلى غيرها وينشد ما وراءها وشتان ما بين اتباع واتباع . بين اتباع الباطل في بطلانه، وبين اتباع الحق في ثباته وبقائه . شتان ما بين النتائج والعواقب في الحالين . وشتان ما بين الفريقين :

﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ ۗ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾

(سورة العصر)

تواص بالحق يدل على ايثاره، وتواص بالصبر يدل على دوامه، وتآزر يدل على الاصرار على الثبات حتى الممات .

وقد يتواصى الذين يتبعون الباطل فيما بينهم لحظة من نهار. وتراهم فيما بينهم وعند  
تبدل الاحوال أشد الناس نكرانا لباطلهم ولمن تواصوا به . وما يبدو غير ذلك إن هو إلا  
إملاء واستدراج ينتهى بدمار وخسران :

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِذِيخَسِرُ  
الْمَبْطُلُونَ ﴾

(الجاثية : ٢٧)

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ  
الْخَاسِرُونَ ﴾

(العنكبوت : ٥٢)

